

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[249] ونقرأ في حديث آخر أنه سُئل الإمام (عليه السلام) عن حقيقة التوكل فقال :

"لَا تَخَافُ سَوَاءَهُ" (1). ويستفاد من هذه العبارات أن روح التوكل هي الانقطاع إلى الله وهجر التعلق بالمخلوقات والأسباب، وما لم يصل الإنسان إلى هذه المرتبة فهو بعيد عن حقيقة التوكل، وكذلك يستفاد من الروايات الرافضة الأكيد للمفهوم السلبي من التوكل، أي ترك الاستفادة من الأسباب المادية، فقد ورد في حديث معروف أن رجلاً أعرابياً ترك ناقته وجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلاً : "تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ" فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) : "إِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ" (2). ولهذا السبب ورد في الآيات الكريمة والسنة النبوية نصوص كثيرة توجب على المؤمنين الأخذ بالأسباب الظاهرية وأن ذلك لا يتقاطع مع روح التوكل من قبيل قوله تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ لِّئَلَّا تُرْهِبُوهُمْ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ - وَالْعَدُوَّ وَكَفُّهُمْ...) (3). ومن جهة أخرى نرى أن القرآن الكريم يبيّن للمسلمين كيفية صلاة الخوف ويقول : (... وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ...) (4). وعلى هذا الأساس نرى أن القرآن الكريم يوجب على المسلمين الأخذ بأدوات الحذر والحيلة تجاه العدو حتّى في حال الصلاة، فكيف الحال في الموارد الأخرى ؟ إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) نفسه لم يتحرك في هجرته من مكّة إلى المدينة من موقع اللامبالاة بالخطر وبدون تخطيط مسبق والاكتفاء بقول "تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ"، بل تحرك على مستوى اغفال العدو بأن طلب من الإمام علي (عليه السلام) من جهة أن ينام على فراشه إلى الصباح، ومن جهة أخرى خرج من مكّة ليلاً وعلى أتم السريّة والخفاء، ومن جهة ثالثة لم يتوجه شمالاً صوب المدينة مباشرة، بل توجه نحو الجنوب قليلاً وبقي في غار ثور لثلاثة أيّام مختفياً عن 1. بحار الأنوار، ج 68، ص 143، ح 42. 2. المحجّة البيضاء، ج 7، ص 426، كنز العمال، ح 5687 و 5689. 3. سورة الأنفال، الآية 60. 4. سورة النساء، الآية 102.